ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وأفعاله في عباده وخلقه حتى إنه
لما مات عمر رضي الله تعالى عنه قال ابن مسعود مات
تسعة أعشار العلم فعرفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم
بالله سبحانه وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه
في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل
الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل
في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة
الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضا
تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد في فضائل العلم والعلماء
أكثره في العلماء بالله عز وجل وبأحكامه وأفعاله وصفاته
وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشريعة
بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد
بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب
وغيره وصار ذلك سببا مهلكا للخلق كثير من الطلبة ..

اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن
صنعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بمناقضة
الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة
وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقبت
طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمي
المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصية
هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول
بل كان يشتد النكير منهم على من كان يفتح باب الجدل
والمماراة وأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة
التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان
ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان
التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين
وإن فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله
عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط

فلا يرى

فلا يرى الخير والشر إلا منه عز وجل جلاله وهذا
مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي في كتاب
التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب
عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت إحدى ثمراته
قول أبي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب
لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني وقول آخر لما مرض وقيل
له ماذا قال لك الطبيب فقال قال لي إني فعال لما أريد
وسيأتي شواهده في كتاب التوكل وكان التوحيد جوهر
نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخص
الناس الاسم بالقشر الأول أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا
يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي يصرح به النصارى
ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره القشر
الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم
هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك
والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق
حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة الثالث وهو
اللباب وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية
يقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده
بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد أتباع
الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال
تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال عليه
السلام أبغض إله عبد في الأرض عند الله هو الهوى وعلى
التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد
الصنم إنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه
فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني
التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد السخط
على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله عز وجل
كيف يسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا
المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول

Copyright King Saud University